السلوك الاستراتيجي الإيراني وأثره على الاستقرار الإقليمي (2011-2020)

Iranian strategic behavior and its impact on the regional stability (2011-2020)

أنيس عبد الوهاب بن أحسن

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، مخبر البحوث الاستراتيجية حول السياسة الخارجية الجزائرية نحو محيطها الجيو-سياسي، جامعة الجزائر3

Benahsene1515@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/27 ؛ تاريخ القبول : 2022/12/06 ؛ تاريخ النشر: ديسمبر2022

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوع السلوك الاستراتيجي الإيراني اتجاه منطقة جنوب غرب آسيا وأثره على الاستقرار الإقليمي في الفترة الممتدة من سنة 2011 إلى غاية سنة 2020، وذلك من خلال التطرق إلى المحددات التي تحكم هذا السلوك، إضافة إلى أهم الأدوات المفعلة له بهدف الفهم الحقيقي والمحايد لتأثيره على الاستقرار الإقليمي، وقد خلصت الدراسة إلى أن هذا السلوك لم يكن هدفه زعزعة الاستقرار الإقليمي بقدر ما كان هدفه الابقاء على النفوذ الاستراتيجي الإيراني في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني، الاستراتيجية، الاستقرار الإقليمي، الأداء الاستراتيجي

Abstract:

This research paper addresses to the topic of Iranian strategic behavior towards South-West Asia, and its impact on regional stability during the period (2011 -2020) , by addressing the determinants governing this behavior, as well as the most important tools for it to understand the real and impartial impact on regional stability. The study concluded that this behavior was not aimed at regional instability as much as it was to maintain Iran's strategic influence in the region.

Keywords: Iranian regional strategic behavior, The strategy, Regional stability, Strategic performance

المؤلف المرسل: أنيس عبد الوهاب بن أحسن

مقدمة:

تعتبر إيران من أهم القوى الإقليمية المؤثرة على المشهد الاستراتيجي لمنطقة جنوب غرب آسيا، فلطالما اتسم السلوك الاستراتيجي الإيراني اتجاه هذه المنطقة بالفعالية، سواء كان ذلك فترة حكم آل بهلوي أو بعد قيام الجمهورية الحالية على إثر نجاح الثورة الاسلامية لسنة 1979، وينبع هذا السلوك من طبيعة إدراك الأمة الإيرانية وصناع قرارها الاستراتيجي للأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة جنوب غرب آسيا، وهي الأهمية التي اقتضت ضرورة العمل على إحياء أمجاد الإمبراطورية الأخمينية العريقة، التي تمكنت من السيطرة على أجزاء واسعة من هذه المنطقة وجوارها الجغرافي.

عرف السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني نموا مطردا منذ سنة 2011، وذلك بفعل الأحداث التي عرفتها بعض الدول العربية المنتمية للنظام الإقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا، والتي اصطلح عليها باسم "ثورات الربيع العربي"، وهي الأحداث التي دفعت بإيران إلى الانخراط المتزايد في النزاعات والأزمات الأمنية الناتجة عن هذه الأحداث، خاصة في ظل استفادة قوى إقليمية تعتبرها إيران معادية على غرار (((إسرائيل))) أو منافسة على غرار تركيا.

وفي ضوء ما سبق ذكره فإن أهمية الدراسة نابعة من تأثير السلوك الاستراتيجي الإيراني على استقرار منطقة جنوب غرب آسيا، خاصة في ظل تنامي انخراط إيران بشكل مباشر أو غير مباشر في الأزمات الأمنية التي تعرفها المنطقة منذ سنة 2011.

وعليه فإن الدراسة تهدف إلى فهم طبيعة السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني وأهدافه بأسلوب علمي وبشكل محايد.

ومنه فإن الإشكالية الرئيسية للدراسة تتمحور في التساؤل التالي: كيف يؤثر السلوك الاستراتيجي الإيراني على استقرار منطقة جنوب غرب آسيا؟

ومن أجل تحليل الموضوع تحليلا علميا وأكاديميا، اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي لملاحظة والمساعدة على تحليل بعض الجزئيات التي من خلالها يمكن فهم وتفسير السلوك الاستراتيجي الإيراني، وكذا الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الذي تم استعماله لوصف وسرد وتحليل هذا السلوك.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة تبنت الدراسة الخطة التالية:

1- محددات السلوك الاستراتيجي الإيراني.

1-1 الثقافة الاستراتيجية.

2-1 العقيدة العسكرية.

2- أدوات تفعيل السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني.

1-2 القوة الصلبة والقوة السيبرانية.

2-2 استخدام السكان الشيعة في منطقة جنوب غرب آسيا.

1- محددات السلوك الاستراتيجي الإيراني.

يخضع السلوك الاستراتيجي الإيراني اتجاه منطقة جنوب غرب آسيا لمحددين رئيسيين، يتمثل الأول في الثقافة الاستراتيجية، فيما يتمثل الثاني في العقيدة العسكرية.

1-1 الثقافة الاستراتيجية

تعرف الثقافة الاستراتيجية على أنها:" الاعتقادات والافتراضات التي تشكل إطارا للخيارات حول السلوك العسكري للدول، خاصة تلك المتعلقة بقرارات إعلان أو خوض الحرب، تفضيلات الهجوم، النماذج التوسعية أو الدفاعية في القتال، مستويات الإصابة فترة الحرب التي يمكن القبول بها "[1]، كما تعرف كذلك على أنها: " النظام المندمج للرموز التي تحمل التفضيلات الثابتة التي تشكل الدور، وفعالية القوة العسكرية في القضايا السياسة الدولية التي تبدو فريدة ومؤثرة "[2]. يتضح من التعريفين أن الثقافة الاستراتيجية تشكل المنطلق الاستراتيجي الأول الذي من خلاله يمكن فهم وتحليل السلوك الاستراتيجي الإيراني، في ضوء امتلاك إيران لحضارة ضاربة في جذور التاريخ، فالتاريخ الاستراتيجي وتراكماته دائما ما يؤثران على طبيعة السلوك الاستراتيجي للدول اتجاه محيطها الإقليمي والدولي، وتعتبر إيران من الدول التي كان فيها للثقافة الاستراتيجية تأثير واضح على سلوكها الاستراتيجي الإقليمي، خاصة مع النزعة القومية -الدينية التي لطالما تغنى بها صناع القرار الإيرانيين.

1-1-1- مصادر الثقافة الاستراتيجية الإيرانية.

يرى مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق هنري كسنجر أن إيران هي الدولة الإقليمية الوحيدة بين جميع دول النظام الإقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا التي تملك الخبرة الأكثر تماسكا على صعيد العظمة القومية، إضافة إلى امتلاكها لتراث استراتيجي هو الأعرق والأكثر دهاء، ولقد تمكنت هذه الدولة من الحفاظ على ثقافتها على امتداد ثلاثين قرنا، إما بوصفها إمبراطورية

مهيمنة ومتوسعة تارة أو بإتقانها فن التلاعب بالعناصر المحيطة بها وتوظيفها لصالحها تارة أخرى[3]. وهو ما يعني أن كسنجر يقر بتميز الثقافة الاستراتيجية الإيرانية بين نظيراتها في منطقة جنوب غرب آسيا، ولإثبات طرحه هذا يستند كسنجر إلى أصالة بعض مصادر هذه الثقافة في صورة التاريخ الاستراتيجي الإيراني المليىء بالمعارك الطاحنة والحروب، وكذا إلى التراث الاستراتيجي الإيراني العريق الذي يعود إلى زمن الإمبراطورية الأخمينية، هذا فضلا عن الجغرافيا والنخب كمصادر رئيسية كان لها الأثر البارز في تغذية هذه الثقافة. ومن جهتها تقول وزيرة الخارجية الأمريكية في عهد إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون: "إن الشعب الإيراني حينما ينظر إلى تاريخه، فإنه يذكر بوضوح مراحل العظمة، سواء كانت إمبراطورية في عهد سايروس العظيم وداريوس، أم فكرية من خلال تطور الاسلام الشيعي"[4]. وبهذا تكون الوزيرة السابقة قد لخصت مصادر الثقافة الاستراتيجية الإيرانية في قوميتها العريقة القائمة على أسس التزاوج بين الشعور القومي الإيراني والشعور القومي الديني الإسلامي الشيعي.

2-1-1 الثقافة الاستراتيجية كمحرك للسلوك الاستراتيجي الإيراني

يرى الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه في معرض حديثه عن الصراع المستمر بين الإيرادات للوصول إلى القوة، أنه حينما تريد أن تصبح قويا فهذا لا يعني أنك أصبحت قويا، وإنما قررت بأن تصبح قويا[5]. ومن خلال محاولة إسقاط هذا الطرح على إيران فإنه تبرز خاصية مميزة لثقافتها الاستراتيجية والتي تتمثل في إرادة امتلاك القوة، بهدف لعب دور الفاعل الإقليمي المهيمن، وهو ما عملت الإمبراطوريات والدول التي تعاقبت على حكم الأراضي الإيرانية

على تجسيده، بدء بمملكة ميدي والإمبراطورية الأخمينية وصولا إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحالية .

وفي نقطة ذات صلة فقد ساهم ماضي ايران في شعورها بعدم الأمان خاصة من الدول الاقليمية المجاورة لها بحكم وقوع أراضيها بين الاحتلال والفتح، في التأثير على ثقافتها الاستراتيجية ومنه طبيعة سلوكها وأدائها الاستراتيجي الحالي، وفي هذا الإطار يصف نائب رئيس مجلس الاستخبارات القومي الأمريكي غراهام فولر الثقافة الاستراتيجية الايرانية بأنها: "انفصام عميق: فهي شعور عميق ومتأصل بالتفوق الثقافي تآكل باستمرار بسبب مشاعر عدم الأمان، وعدم قدرة الدولة الفارسية على تحديد مصيرها نتيجة للبيئة الأمنية الإقليمية المضطربة التي تحيط بها"[6]، وهو ما يعني أن إيران وبالرغم من امتلاكها لإرادة القوة، فإنها تبقى عاجزة عن إحداث الأثر الاستراتيجي الإقليمي، وذلك بفعل تصادم ايراداتها مع إيرادات القوى الإقليمية والدولية المؤثرة على المشهد الاستراتيجي الاقليمي، وهي القوى التي تمتلك من القوة ما تستطيع بها من تحقيق أهدافها الاستراتيجية كلها أو جلها.

2-1 العقيدة العسكرية

تعرف العقيدة العسكرية على أنها تمثيل ملموس لنظام الاعتقاد المؤسسي للجيش فيما يتعلق بكيفية فهم الجيش، والاستعداد له للقيام بأنشطة عسكرية[7]. يفهم من خلال التعريف أن العقيدة العسكرية للقوات المسلحة للدولة تمثل محددا هاما لفهم سلوكها الاستراتيجي خاصة اتجاه محيطها الإقليمي.

بالنسبة للعقيدة العسكرية الإيرانية فإنها تعتبر عقيدة متميزة عن نظرائها في النظام الإقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا، وذلك نابع من إدراك صناع القرار الإيرانيين للقوى التي تهدد الأمن القومي الإيراني والمصالح الاستراتيجية الإقليمية لبلادهم، لذلك عكفت إيران على تبني عقيدة عسكرية تستجيب لطموح الأمة الإيرانية وبوسعها حماية أمنها القومي وضمان مصالحها الاستراتيجية الإقليمية، وتقوم العقيدة العسكرية الإيرانية على أساس الاستعداد لخوض حرب غير تماثلية وكذا إمكانية التحول إلى وضعية الهجوم.

1-2-1 الاستعداد لخوض حرب غير تماثلية

دفعت التغيرات التي طرأت على البيئة الاستراتيجية الإقليمية إلى استعداد طهران لخوض حرب غير متماثلة، خاصة في ظل اعتبار إيران للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من دول مجلس التعاون الخليجي كمصدر تهديد لأمنها القومي ومصالحها الاستراتيجية الإقليمية، وهو التحالف الذي لا يمكن مواجهته عن طريق استراتيجية الحرب النظامية التماثلية، نظرا للهوة التكنولوجية الموجودة بينهما.

لذلك تبنت طهران استراتيجية الحرب اللامتماثلة كأساس لعقيدتها العسكرية، وتهدف هذه الاستراتيجية الى تحقيق الردع الفاعل الذي يعني تجنب القوى المعادية لإيران لاتخاذ قرار القيام بعمل عسكري ضدها نظرا للتكاليف الباهظة التي ستلحق بهم، وتعتبر نقطتي قوة هذه الاستراتيجية في اعتمادها على المعدات العسكرية المحلية الصنع، واستثمارها في طبيعة الرجل العسكري الإيراني التواق للشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن[8].

ويرتكز استعداد إيران لخوض حرب غير متماثلة على النقاط التالية:

- تدريب القوات المسلحة الإيرانية على أساليب واستراتيجيات الحرب غير التماثلية.
- تطوير القدرات الصاروخية خاصة تلك المتعلقة بالإيصال.
- تقوية العلاقات الاستراتيجية مع الوكلاء والشركاء الاقليميين الاستراتيجيين لاستخدامهم في الحرب غير التماثلية[9].

وتأكيدا لما سبق فلطالما أكد قادة كبار في صفوف الجيش الإيراني والحرس الثوري، على أن العقيدة العسكرية الإيرانية هي عقيدة تقوم على الاستعداد لخوض حرب غير متماثلة، وفي هذا الصدد صرح قائد قاعدة خاتم الأنبياء العميد فرزاد الاسماعيلي في 28 أغسطس سنة 2011، "أن إيران اختارت العقيدة العسكرية التي ترتكز على الحرب اللاتماثلية لمواجهة العقيدة العسكرية الكلاسيكية للولايات المتحدة الأمريكية التي تعتمد على الأساليب التقليدية في القتال"، كما أكد قائد القوة البحرية لحرس الثورة الإسلامية الأدميرال علي فدوي في 16ماي 2014، "بأن إيران تنتهج استراتيجية الحرب غير التماثلية لتغطية الفارق في التكنولوجيا الموجود بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال إمكانية شن هجمات بحرية باستخدام القوارب السريعة، إضافة إلى القيام ضربات صاروخية لأهداف استراتيجية القدرات الصاروخية الكبيرة التي تمتلكها إيران، هذا فضلا عن إمكانية القيام بالهجمات الإنتحارية ما يجعل التفوق التكنولوجي العسكري الأمريكي غير فعال في حال قيام واشنطن بأي عمل عسكري ضد طهران"[10].

2-2-1 إمكانية التحول إلى وضعية الهجوم

ألقت الأحداث الإقليمية التي عرفها النظام الإقليمي لمنطقة المشرق العربي منذ سنة 2011 بضلالها على العقيدة العسكرية الإيرانية، وذلك بفعل الهواجس التي انتابت طهران من تآكل نفوذها الاستراتيجي الإقليمي، خاصة مع استمرار بؤر التوتر في عمقها الاستراتيجي، على غرار تصاعد حدة الأزمة الأمنية السورية وتدهور الوضع الأمني في العراق، وهوما جعلها ترسل قوات نظامية وأخرى غير نظامية للمشاركة في العمليات القتالية في كل من سوريا والعراق، أو لتقديم الاستشارة العسكرية للحلفاء والوكلاء الاستراتيجيين، وهو ما عد مظهرا من مظاهر التحول في العقيدة العسكرية الإيرانية[11]. وقد أكد كبار المسؤولين الإيرانيين على إمكانية تحول العقيدة العسكرية الإيرانية من وضعية الدفاع إلى وضعية الهجوم على غرار ما صرح به قائد الحرس الثوري الايراني آنذاك العميد أمير علي حجب زاده في شهر سبتمبر سنة 2012 حينما أكد على أن عقيدة ايران العسكرية قائمة على الدفاع وليس الهجوم غير أنها لن تتوانى في احداث تغيير جذري على عقيدتها العسكرية في حال حصول تهديد فعلي للأمن القومي الايراني[12]، وبالرغم من هذه التهديدات فإن الواقع الإستراتيجي الإقليمي يؤكد على أن الدفاع لا يزال يشكل جوهر العقيدة العسكرية الإيرانية، من منطلق أن الأداء الاستراتيجي الإيراني الحالي يسعى للدفاع عن النفوذ الاستراتيجي الإقليمي المتآكل بفعل الأحداث التي شهدها النظام الإقليمي لمنطقة المشرق العربي منذ سنة 2011.

ومن خلال العرض السابق يستنتج أن السلوك الاستراتيجي الإقليمي لإيران في ضوء عقيدتها العسكرية، هو سلوك يسعى للحفاظ والدفاع عن

المصالح الاستراتيجية الإيرانية الآخذة بالتآكل بفعل الدور الأمريكي في النظام الإقليمي لمنطقة المشرق العربي، وعلى هذا النحو فإن السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني هو سلوك يقوم على ردود الأفعال بعد فشل الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية بفعل تواجد قوى دولية (الولايات المتحدة الأمريكية) وأخرى إقليمية (((إسرائيل)) وتركيا) لها وزنها الاستراتيجي في المنطقة.

2- أدوات تفعيل السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني

سعيا من إيران لتنفيذ استراتيجيتها الإقليمية، الرامية إلى تحقيق أهدافها الاستراتيجية في النظام الإقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا، والتي من بينها مد نفوذها الاستراتيجي في المنطقة، وكذا تحقيق التوازن الاستراتيجي مع القوى المؤثرة في المشهد الاستراتيجي الإقليمي، قامت إيران بتوظيف عدد من الأدوات الإستراتيجية الهامة على غرار: استخدام القوة الصلبة والسيبرانية، وكذا استخدام السكان الشيعة في منطقة جنوب غرب آسيا.

1-2 القوة الصلبة والقوة السيبرانية

تشكل القوة الصلبة والقوة السيبرانية أدوات هامة لتفعيل السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني، وفي هذا الإطار عمل صناع الاستراتيجي الإيرانيين على استخدام كل من القوة الصلبة واللينة لتعزيز قدرة الأداء الاستراتيجي الاقليمي الإيراني على تحقيق الآثار الاستراتيجية المنشودة.

1-1-2 القوة الصلبة

تعتبر القوة الصلبة إحدى الأدوات الاستراتيجية الأكثر والأقدم استخداما لتفعيل السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني، وذلك بشكل مباشر من خلال العمليات التي يقوم بها فيلق القدس التابع لحرس الثورة

الإسلامية، أو بشكل غير مباشر من خلال العمليات التي يقوم بها شركائها ووكلائها الاستراتيجيين الإقليميين بالتنسيق مع منظوماتها الاستخبارية ومع فيلق القدس.

شهد استخدام إيران لقوتها الصلبة بشكل مباشر تناميا في الدول التي تشكل عمقها الاستراتيجي على غرار العراق، أو في الدول التي تجمعها بها مصالح وتحالفات استراتيجية على غرار سوريا. وفي هذا الصدد أكد رئيس المخابرات العراقية الأسبق اللواء محمد الشهراني على أن عناصر المخابرات الإيرانية تنشط بصورة كبيرة في بلاده، وقد تعدى دورها جمع المعلومات الاستخبارية إلى القيام بالعمليات العسكرية[13] . هذا وتمكنت إيران من تنصيب حاكم إيراني لمدينة البصرة العراقية تحت مسمى "قنصل تابع لاستخبارات حرس الثورة"، يتولى قيادة النشاط الإيراني في جنوب العراق، ويأتي هذا الاجراء الاستراتيجي بعد فتح إيران لـ18 مكتبا للاستخبارات الايرانية في العراق تحت غطاءات مختلفة وخاصة الجمعيات الخيرية[14]، وبالنسبة لسوريا فقد تواجد حولي 70 ضابطا من كبار ضباط فيلق القدس في سوريا سنة 2014 بالإضافة إلى الآلاف من مقاتلي قوات الباسيج المتطوعين حسبما أكده ضابط كبير في الحرس الجمهوري السوري[15]، ويكشف تواجد هذا العدد الكبير من ضباط حرس الثورة الاسلامية ومقاتلي الباسيج عن قيام إيران بعمليات عسكرية لدعم قوات النظام السوري الحليفة .

كما واصلت إيران استخدام قوتها الصلبة بشكل غير مباشر في عموم منطقة المشرق العربي، وبخاصة في الدول التي تجمعها بها تحالفات استراتيجية مع القوى الدولية التي تعتبرها إيران معادية على غرار المملكة

العربية السعودية، وهو ما أكده ولي العهد السعودي الأمير محمد بن نايف في كلمته خلال أعمال الدورة السنوية الـ 71 لمنظمة الأمم المتحدة في 21 سبتمبر 2016، الذي أشار إلى تعرض بلاده منذ سنة 1992 إلى أكثر من 100 عملية إرهابية، منها 18 عملية نفذتها عناصر مرتبطة تنظيميا بدولة إقليمية، في إشارة مباشرة لإيران[16].

2-1-2 القوة السيبرانية

أضحت القوة السيبرانية تشكل إحدى أهم أدوات تفعيل السلوك الاستراتيجي الإقليمي الإيراني، ويعود ذلك إلى إدراك إيران لأهمية ودور الفضاء السيبراني في الحروب حاضرا ومستقبلا، خاصة بعد تعرض مفاعلاتها النووية لهجوم سيبراني أمريكي، وفي ظل هذا السياق اقتحمت إيران الفضاء السيبراني، وتمكنت من تطبيق استراتيجية الحرب اللاتماثلية السيبرانية، وذلك من خلال اعتمادها على شركاء ووكلاء من داخل إيران، أو بالاعتماد على شركائها ووكلائها الاستراتيجيين الإقليميين، وبهذا يكون انخراطها في الفضاء السيبراني قد ساهم في زيادة قوة أدائها الاستراتيجي في بعده الدفاعي والهجومي.

استهدفت إيران في 15 أغسطس 2012 شركة أرامكو السعودية بهجوم سيبراني، تم على إثره إتلاف وسرقة بيانات أكثر من 30.000 حاسوب[17]، وبعده بمدة قصيرة قامت القوة السيبرانية الإيرانية باستهداف شركةRas Gasالقطرية التي تعمل في قطاع تسييل الغاز الطبيعي بهجوم سيبراني مشابه، وفي سنة 2014 قام الجيش السيبراني الإيراني بالتنسيق مع بعض المجموعات السيبرانية الإيرانية وكذا الوحدات السيبرانية لبعض وكلائها

الإقليميين، بشن هجوم سيبراني ضد الفضاء السيبراني (((الإسرائيلي)))، وهي العملية التي أطلق عليها اسم "عملية معارضة ولادة (((إسرائيل)))[18]، وفي أواخر سنة 2016 ومطلع سنة 2017 نفذت إيران العديد من الهجمات السيبرانية ضد هيئات رسمية سعودية وبعض المصانع ما تسبب في حذف بياناتها[19]، ففي شهر نوفمبر من سنة 2016 استهدف الجيش السيبراني الإيراني الهيئة العامة للطيران المدني السعودية وخمس وكالات أخرى على الأقل بهجوم سيبراني أدى إلى مسح بيانات الآلاف من الحواسيب، وفي شهر يناير من سنة 2017 أستهدفت حواسيب شركة التصنيع الوطنية السعودية وهو الأمر الذي أدى إلى مسح بياناتها، وفي شهر أغسطس من سنة 2017 قام فيروس تريتون Triton بمحاولة تفجير أجهزة مصنع البتروكيماويات السعودي لكن التكوين الخاطئ للفيروس أدى إلى تعطلها بدل انفجارها[20].

وبصورة عامة يوضح الجدول رقم 1 البلدان والقطاعات التي استهدفها الجيش السيبيري الإيراني، سواء كان ذلك بمفرده أم بالتنسيق مع الوكلاء والشركاء الاستراتيجيين الإقليميين.

الجدول رقم 1: هوية الأهداف التي طالتها الهجمات السيبرانية الإيرانية على المستوى الإقليمي

البلد	القطاعات المستهدفة
(((إسرائيل)))	مؤسسات فضائية، مؤسسات تعليمية.
الإمارات	مؤسسات حكومية، خطوط جوية.
باكستان	مطارات، مؤسسات صحية، مؤسسات تقنية، خطوط جوية.
تركيا	شركات نفط وغاز.
السعودية	شركات نفط وغاز، مطارات.
قطر	شركات نفط وغاز، مؤسسات حكومية، خطوط جوية.
الكويت	شركات نفط وغاز، شركات اتصالات.

المصدر: حسن مظفر الرزو، مرجع سبق ذكره، ص، 361.

شملت الهجمات السيبرانية الإيرانية عموم منطقة جنوب غرب آسيا، خاصة تلك الدول التي تعتبرها إيران دولا معادية تعمل على تقويض مصالحها الاستراتيجية الإقليمية في صورة المملكة العربية السعودية، هذا ويلاحظ أن الهجمات السيبرانية الإيرانية استهدفت البنية التحتية للدول المذكورة آنفا، كما يلاحظ تجنب صناع القرار الاستراتيجي الإيرانيين التسبب بآثار استراتيجية من شأنها تشكيل تهديد حقيقي للأمن الوطني والقومي للدول المستهدفة، وذلك إدراكا منهم أن القيام بمثل هذه الخطوة الاستراتيجية من شأنها أن تؤدي إلى اندلاع حرب إقليمية شاملة، وهو ما يعني أن الهجمات السيبرانية الإيرانية تندرج في إطار استراتيجية الردع فقط.

2-2 استخدام السكان الشيعة في منطقة جنوب غرب آسيا.

يشكل الشيعة اليوم نحو 13% من إجمالي عدد المسلمين في العالم[21]، وهم يتمركزون بشكل رئيسي في منطقة جنوب غرب آسيا، خاصة في إيران والبحرين والعراق التي يشكلون فيها أغلبية عدد السكان (أنظر الخريطة رقم1).

الخريطة رقم 1: التوزيع الجغرافي للشيعة في منطقة جنوب غرب آسيا والعالم

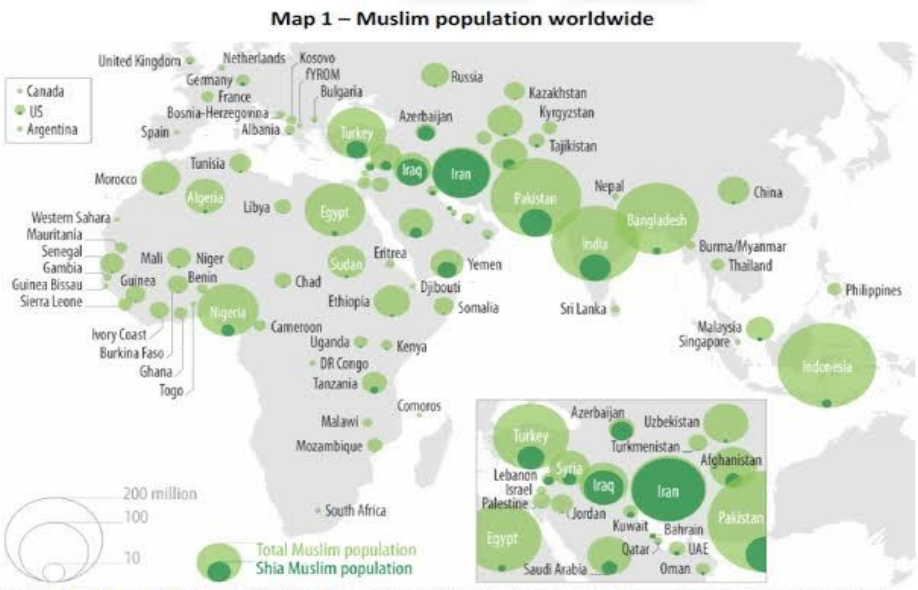

Source: Pew Research Center, 2009; Graphics: Christian Dietrich. (Turkey: Shiite population includes Alevis. Oman: Total Muslim population includes Ibadis.)

المصدر: فراس إلياس، مستقبل مكانة إيران الإقليمية في الشرق الأوسط، مجلة Bolgesel Arastirmalar Dergisi، تركيا، إصدار خاص بالحرب الهجينة 1 (2)، (أكتوبر 2017م)، ص، 121.

سعت إيران من خلال استخدام السكان الشيعة في منطقة جنوب غرب آسيا إلى حماية مصالحها الاستراتيجية وتحقيق أهدافها الإقليمية[22]، خاصة وأن للهوية الشيعية قوة تجعلها تؤثر على توازن القوى في جميع أنحاء

المنطقة، وذلك من خلال إمكانية وصول الشيعة للحكم مثلما حصل في العراق[23]. وتقوم إيران بتوظيف السكان الشيعة بأشكال مختلفة على غرار: استخدامهم كأداة ضغط، إمكانية استخدامهم لزعزعة الاستقرار الإقليمي، تجنيد لبعض فئات المجتمعات الشيعية.

1-2-2 استخدام إيران للسكان الشيعة كأداة ضغط

وهو ما تساهم في تحقيقه الاعتبارات الدينية التي تتحكم في مسألة الولاء عند الشيعيين، فالشيعي قد يكون مواطنا "سعوديا" أو "يمنيا" لكنه في النهاية فرد شيعي مرتبط بالحوزات العلمية الموجودة في كل من العراق وإيران[24]، وهي المسألة التي أشار إليها الرئيس المصري الأسبق محمد حسني مبارك خلال مقابلة تلفزيونية مع إحدى القنوات التلفزيونية سنة 2006، وذلك بقوله: " إن الشيعة الذين يعيشون في الشرق الأوسط يشعرون بالالتزام اتجاه إيران أكثر من البلدان التي يعيشون فيها"[25]، وقد تجلى هذا الالتزام بشكل واضح في دعم وتأييد غالبية الشيعية في منطقة جنوب غرب آسيا للمواقف الاستراتيجية الإيرانية حيال الأزمات الأمنية الإقليمية، في صورة انتقاد رجال الدين الشيعة في كل من الكويت والبحرين للعملية العسكرية التي يقودها التحالف العسكري العربي بقيادة السعودية في اليمن[26]. هذا وتعود جذور هذه الأزمة إلى تأسيس الدولة الصفوية، حيث تحولت إيران من محيط شيعي يتبع المركز الشيعي العراقي (على اعتبار أن العراق هي التي كانت تعتبر مركزا للتشيع لوجود التراث الشيعي فيها) إلى مركز شيعي يتبعه المحيط الشيعي العربي، وهو ما اعتبره الدكتور وليد عبد الحي أخطر التحولات الاستراتيجية في تاريخ العلاقات العربية الإيرانية بعد الاسلام[27].

يمكن أن يأخذ استخدام إيران للسكان الشيعة كأداة ضغط على دول النظام الاقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا أشكالا وصورا مختلفة مثل: أعمال شغب واسعة النطاق في المناطق التي يتواجد بها السكان الشيعة بكثرة، تأجيج السلم المجتمعي من خلال الصدام مع قوميات أو طوائف أخرى داخل هذه الدول، تهديد الوحدة الترابية للدول من خلال عمل إيران على إحياء النزعة الانفصالية للأقاليم ذات الغالبية الشيعية.

وفي ضوء ما سبق يتضح أن تمكن إيران من تحويل ولاء الشيعة من العراق إلى إيران على اعتبار أنها تشكل القوة الإقليمية والعالمية التي تتكفل بحماية الشيعة والمقدسات الشيعية، مكنها من استخدام السكان الشيعة كأداة ضغط على الدول التي يستقرون فيها، وبالتالي أصبح هؤلاء السكان يمثلون خطوط متقدمة للدفاع عن المصالح الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية، وكذا لتنفيذ الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية.

2-2-2 إمكانية استخدام السكان الشيعة لزعزعة الاستقرار الإقليمي

يعتبر استخدام إيران للسكان الشيعة من الخيارات الاستراتيجية المتاحة أمام صناع قرارها الاستراتيجي، خاصة في حالة ما إذا تواصل تآكل المصالح الاستراتيجية الإيرانية في النظام الإقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا، أو استعمالها لزعزعة استقرار الأنظمة الإقليمية الفرعية في صورة النظام الإقليمي الخليجي -الذي يمثل العمق الاستراتيجي لإيران- في حالة تصاعد التوتر في العلاقات بين إيران والدول التي تراها إيران دولا معادية على غرار السعودية.

وتأكيدا لما سبق أكد القنصل الإيراني الأسبق في مدينة دبي عادل الأسدي في حوار أجراه مع صحيفة غلف نيوز -التي تتخذ من مدينة دبي مقرا لها- سنة 2007 أن إيران حافظت على علاقاتها مع شبكة كبيرة من الخلايا النائمة في دول مجلس التعاون الخليجي منذ سنة 1979، وتتشكل هذه الخلايا من المواطنين الخليجيين الشيعة، وأن ايران ستفعل هذه الخلايا لزعزعة الاستقرار الإقليمي وقت الحاجة[28]، وهو ما يعني أنه إضافة إلى الدور الذي يؤديه شركاء ووكلاء إيران الاستراتيجيين الإقليميين، فإنه بإمكان طهران أيضا إيقاظ خلايا وشبكات شيعية أخرى لاستخدامها في زعزعة الاستقرار الإقليمي، وهو أمر من شأنه تعزيز فعالية الدور الاستراتيجي الإقليمي الإيراني .

وبدورها أعربت المملكة العربية السعودية عن خشيتها من تزايد دعم إيران للأقليات الشيعية المتواجدة في النظام الاقليمي الخليجي بعد توصل إيران إلى اتفاق مع الدول الكبرى حول برنامجها النووي سنة 2015، الأمر الذي يؤدي حسب الرياض إلى زعزعة الاستقرار الإقليمي[29]. تأتي هذه الهواجس الأمنية السعودية في ظل التقارب الذي كان ممكنا حسبها بين إيران والقوى الغربية، وهو ما يجعل من إمكانية عدم ضغط هذه القوى على إيران أمرا مطروحا بحكم المصالح، وهو ما يتيح لطهران الرد على الرياض التي رافعت وطالبت بالقيام بعمل عسكري ضد إيران وذلك من بوابة تهديد الاستقرار الإقليمي باستعمالها للسكان الشيعة في منطقة الخليج العربي.

3-2-2 تجنيد إيران لبعض فئات المجتمعات الشيعية

تقوم إيران بعملية تجنيد لبعض فئات المجتمعات الشيعية خاصة فئة الشباب، وإرسالهم للمناطق والدول التي تشهد اضطرابات أمنية، وهو ما يشكل قوة أخرى تساهم في الدفاع عن المصالح الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية وتنفيذ استراتيجيتها الإقليمية، ويوضح الشكل رقم 1 تطور عدد القوات الشريكة لحرس الثورة الاسلامية بين عامي 2011 و2018.

الشكل رقم 1: تطور عدد القوات الشريكة لحرس الثورة الإسلامية الإيراني بين عامي 2011 و2018م.

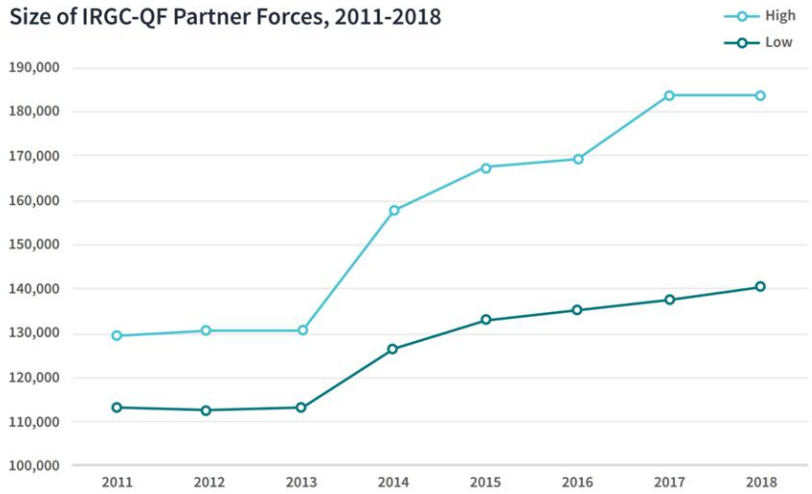

The Source : Seth G Jones, War by proxy Iran's growing footprint in the Middle East,: Centre for Strategic and International Studies, Washington, March 2019, p, 4.

من خلال القراءة السريعة لمعطيات الشكل رقم 1 يتضح أن إيران قامت بتجنيد أعداد معتبرة من السكان الشيعة في منطقة جنوب غرب آسيا، وإشراكها لحماية مصالحها الاستراتيجية الإقليمية في منطقة المشرق العربي،

وذلك في أعقاب الأحداث التي تشهدها المنطقة منذ سنة 2011 في إطار ما أصطلح عليه بثورات الربيع العربي، وهي الأحداث التي أدت إلى تآكل النفوذ الاستراتيجي الإقليمي الإيراني.

خاتمة:

هدف السلوك الاستراتيجي الإيراني اتجاه منطقة جنوب غرب آسيا في الفترة الممتدة من سنة 2011م إلى آواخر سنة 2020م ، إلى حماية المصالح الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية من خلال العمل على تحقيق الردع مع القوى الإقليمية والدولية المؤثرة على المشهد الاستراتيجي في هذه المنطقة، وهو ما أثر على الاستقرار الإقليمي، ذلك أن تصادم مصالح إيران في المنطقة مع مصالح الدول الإقليمية الأخرى أثر سلبا على الاستقرار الإقليمي.

كما يستنتج كذلك امتلاك إيران للعديد من الأدوات الاستراتيجية الهامة التي تساعد على تفعيل سلوكها الاستراتيجي وتنفيذ استراتيجيتها الإقليمية، والتي كان لها أثر بارز في زعزعة الاستقرار الاقليمي، ورغم ذلك فقد عجزت طهران عن تحقيق أهدافها الإقليمية، وهو الأمر الذي يمكن إرجاعه إلى العديد من العوامل، لعل أهمها تكمن في عدم تحلي صناع القرار الاستراتيجي الإيرانيون باليقظة الاستراتيجي القائمة على المعرفة الجيدة بالعدو، يضاف إلى ذلك هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الإقليمي لمنطقة جنوب غرب آسيا وتحكمها فيه بفعل اختراقها المبكر لهذا النظام.

وفي ظل ما تقدم ينبغي التأكيد على ضرورة تغليب الحوار كسبيل وحيد للحفاظ على الأمن والاستقرار الإقليميين، ولضمان مصالح جميع دول

منطقة جنوب غرب آسيا، وكذا مصالح القوى الدولية المؤثرة، وتجسيدا لهذا الحل ينبغي على إيران وغيرها من الفواعل الدولاتية الإقليمية الشروع في حوار بنية سليمة ودون أية شروط أو قيود مسبقة، إعلاء للمصالح الإقليمية المشتركة على حساب المصالح الوطنية الضيقة التي تفضي إلى زعزعة الاستقرار الإقليمي ومن ثم خسارة الجميع.

---

[1] عامر مصباح، نظرية الثقافة الاستراتيجية الأسس النظرية ودراسات الحالة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2019م، ص، 13

[2] المرجع نفسه، ص ص، 13-14.

[3] هنري كسنجر، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2015م، ص، 158.

[4] عبد الحميد العيد الموساوي، "العلاقة الاستراتيجية بين الجمهورية الاسلامية في إيران وحركة حماس الاسلاميةّ"، مجلة بحوث ودراسات، مركز الدراسات الفلسطينية، لبنان، 2009م، العدد العاشر، ص، 6.

[5] سعيد الصافي، جيوبوليتيك الدم التاريخ الأسير والجغرافيا المتصدعة، شركة سوتيميديا، تونس، 2016م، ص، 355.

[6] D.Howard Russell, Strategic Culture , Joint Special operation University, Florida, 2013, p p, 27-28.

[7] فيروز مزياني، "العقيدة العسكرية الجزائرية في ظل تحديات البيئة الإقليمية"، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، كلية العلوم السياسية بجامعة باتنة 1، الجزائر، المجلد السابع، العدد الثاني، جوان 2020م، ص، 535.

[8] محمد نجاح محمد كاظم الجزائري، الإمكانات العسكرية الإيرانية وأثرها على التوازن الاستراتيجي الإقليمي بعد سنة 2003م، رسالة ماجيستير، تخصص العلوم السياسية والاستراتيجية، جامعة النهرين، العراق، 2012م، ص ص، 5-6.

[9] Anthony Cordesman and Martin Kleiber, Iran's Military Forces and Warfighting Capabilities, Center for Strategic and International Studies, Washington, 2007, p, 199.

[10] Anthony H Cordesman, The Iranian Sea –Air- missile threat to Gulf shipping, Centre for Strategic and International Studies, Washington , February 2015, p p,67- 68.

[11] Suzanne Maloney, The roots and evolution of Iran's regional strategy, Atlantic Council and Brent Scowcroft center on international Security, United states of America, September 2017, p,11.

[12] Michael Eisenstadt, The strategic Culture of the Islamic Republic of Iran, MES Monographs No/ 7, Middle East Studies at the Marine corps University, United States of America, November 2015, p,11.

[13] أمال زرنيز، الفكر السياسي الشيعي والتوازنات السلطوية في منطقة الشرق الأوسط (2003–2015م)، أطروحة دكتوراه، تخصص رسم السياسات العامة، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2016، ص، 300.

[14] المكان نفسه.

[15] بشير عبد الفتاح، السياسة الخارجية الإيرانية في زمن التحولات الإقليمية، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، مصر، العدد رقم 158، 2014م، ص، 134.

[16] معتز سلامة، إيران والأمن القومي العربي، مجلة آفاق عربية، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، العدد الأول، 2017م، ص،40.

[17] Seth G Jones and authers, Iran's threat to Saudi critical infrastructure the implication of U S- Iranian escalation, Centre for Strategic and International Studies, Washington, August 2019, p, 9.

[18] حسن مظفر الرزو، التهديد السيبراني الإيراني الملف المضاف إلى برنامجها النووي ودوره المحتمل في تأجيج صراع من نمط جديد، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2020م، ص ص، 351–353.

[19] Seth G Jones and authers, Op, Cit, p, 4.

[20] Ibid, p, 9.

[21] Graham E Fuller, Understanding cintemporary Islamic crises in the Middle East the issues beneath the surface, Leiden University Press, Chicago, 2016, p, 35.

[22] Muhammad Abdul Ghaffar, Regional and International Strategy for Arabian Gulf Security:A Perspective on the Driving Forces ofStrategic Conflict and the Local Response , Bahrain Center for Strategic International and Energy Studies, Bahrain, September 2014, p, 14.

[23] Mahjoob Zweiri and Johnson Andrew E, Transnational Implications of Civil Conflicts in Iraq, Lebanon, and Palestine, Research paper no 118, Reszarch Institute for European and American Studies –Rieas-, Athens, February 2008, p, 11.

[24] أحمد التلاوي، إيران وصراع الأصوليات في الشرق الأوسط سياسات تعميم الفوضى الإقليمية ودور إيران فيها، شركة الرسالة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، 2016م، ص، 77.

[25] Muharrem Eksi, ''Regional Hegemony Quests in the middle East from the Balance of Power System to the Balance of Proxy Wars : Turkey as Balancing Power for the Iran-Saudi

Rivalry'', Akademik Bakis, Tukish Global Research Foundation, Turkey, Vol 11, Number 21, 2017, p, 141.

[26] Jane Kinninmont, Iran and the GCC Unnecessary Insecurity , The Royal Institute International Affairs, London, July 2015, p, 12.

[27] وليد عبد الحي، إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020م، مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، الجزائر، 2010م، ص، 28.

[28] Victor Gervais, Shielding the State: UAE Military efforts to counter Iran's disruptive options in the Gulf . Paris Papers. Number 07, Strategeic Research of the Military School, Paris, 2012, p, 25.

[29] Athina Tzemprin , Jugoslav Jozic and Henry Lambare, The Middle East cold war : Iran-Saudi Arabia and the way ahead, Croatian Political Science Review, Faculty of Political Science of the University of Zagreb, Croatia, Vol 52, Number 4-5, 2019, p, 197.

قائمة المراجع

أولا: باللغة العربية

1/الكتب

- أحمد التلاوي، إيران وصراع الأصوليات في الشرق الأوسط سياسات تعميم الفوضى الإقليمية ودور إيران فيها، شركة الرسالة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، 2016م.
- عامر مصباح، نظرية الثقافة الاستراتيجية الأسس النظرية ودراسات الحالة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2019م.
- هنري كسنجر، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2015م.
- سعيد الصافي، جيوبوليتيك الدم التاريخ الأسير والجغرافيا المتصدعة، شركة سوتيميديا، تونس، 2016م.

- حسن مظفر الرزو، التهديد السيبراني الإيراني الملف المضاف إلى برنامجها النووي ودوره المحتمل في تأجيج صراع من نمط جديد، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2020م.
- وليد عبد الحي، إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020م، مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، الجزائر، 2010م.

2/الرسائل الجامعية

- أمال زرنيز، الفكر السياسي الشيعي والتوازنات السلطوية في منطقة الشرق الأوسط (2003-2015م)، أطروحة دكتوراه، تخصص رسم السياسات العامة، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2016م.
- محمد نجاح محمد كاظم الجزائري، الإمكانات العسكرية الإيرانية وأثرها على التوازن الاستراتيجي الإقليمي بعد سنة 2003م، رسالة ماجيستير، تخصص العلوم السياسية والاستراتيجية، جامعة النهرين، العراق، 2012م.

3/ المقالات العلمية

- بشير عبد الفتاح، السياسة الخارجية الإيرانية في زمن التحولات الإقليمية، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، مصر، العدد رقم 158، 2014م، ص ص، 134-146.
- عبد الحميد العيد الموساوي، "العلاقة الاستراتيجية بين الجمهورية الاسلامية في إيران وحركة حماس الاسلامية"، مجلة بحوث ودراسات، مركز الدراسات الفلسطينية، لبنان، 2009م، العدد العاشر، ص ص، 3-13.

- فراس إلياس، مستقبل مكانة إيران الإقليمية في الشرق الأوسط، مجلة Bolgesel Arastirmalar Dergisi، تركيا، إصدار خاص بالحرب الهجينة 1 (2)، (أكتوبر 2017م)، ص ص، 102-150.
- معتز سلامة، إيران والأمن القومي العربي، مجلة آفاق عربية، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، العدد الأول، 2017م، ص ص، 35-46.
- فيروز مزياني، "العقيدة العسكرية الجزائرية في ظل تحديات البيئة الإقليمية"، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، كلية العلوم السياسية بجامعة باتنة 1، الجزائر، المجلد السابع، العدد الثاني، جوان 2020م، ص ص، 532-557.

ثانيا: باللغة الإنجليزية

1/The Books:

-Anthony Cordesman and Martin Kleiber, Iran's Military Forces and Warfighting Capabilities, Center for Strategic and International Studies, Washington, 2007.

Graham E Fuller, Understanding cintemporary Islamic crises in the Middle East the issues beneath the surface, Leiden University Press, Chicago, 2016.

The Scientific Journals/2

Muharrem Eksi, ''Regional Hegemony Quests in the middle East from the Balance of Power System to the Balance of Proxy Wars : Turkey as Balancing Power for the Iran-Saudi Rivalry'', Akademik Bakis, Tukish Global Research Foundation, Turkey, Vol 11, Number 21, 2017, p p, 133-156.

Athina Tzemprin , Jugoslav Jozic and Henry Lambare, The Middle East cold war : Iran- Saudi Arabia and the way ahead, Croatian Political Science Review, Faculty of Political Science of the University of Zagreb, Croatia, Vol 52, Number 4-5, 2015, p p, 187-202.

The Studies/3

Mahjoob Zweiri and Johnson Andrew E, Transnational Implications of - Civil Conflicts in Iraq, Lebanon, and Palestine, Research paper no 118, Reszarch Institute for European and American Studies –Rieas-, Athens, .February 2008
Muhammad Abdul Ghaffar, Regional and International Strategy for Arabian - Gulf Security:A Perspective on the Driving Forces ofStrategic Conflict and the Local Response , Bahrain Center for Strategic International and Energy .Studies, Bahrain, September 2014
Seth G Jones and authers, Iran's threat to Saudi critical infrastructure the - implication of U s- Iranian escalation, Centre for Strategic and International .Studies, Washington, August 2019
Seth G Jones, War by proxy Iran's growing footprint in the Middle East,: - .Centre for Strategic and International Studies, Washington, March 2019
Jane Kinninmont, Iran and the GCC Unnecessary Insecurity , The Royal - .Institute International Affairs, London, July 2015
Suzanne Maloney, The roots and evolution of Iran's regional strategy, - Atlantic Council and Brent Scowcroft center on international Security, .United states of America, September 2017
Michael Eisenstadt, The strategic Culture of the Islamic Republic of Iran, - MES Monographs No/ 7, Middle East Studies at the Marine corps .University, United States of America, November 2015
D.Howard Russell, Strategic Culture , Joint Special operation University, - .Florida, 2013
Victor Gervais, Shielding the State: UAE Military efforts to counter Iran's - disruptive options in the Gulf . Paris Papers. Number 07, Strategeic .Research of the Military School, Paris, 2012
The Reports/4
Anthony H Cordesman, The Iranian Sea –Air- missile threat to Gulf - shipping, Centre for Strategic and International Studies, Washin